العرب
الخميس 2021/01/07
السنة 43 العدد 11933

فنان يمني يقاوم الحرب برسم البورتريهات

صنعاء - منذ فترة طويلة، يواصل الفنان التشكيلي اليمني شهاب المقرمي، مشوار الرسم والفن والجمال، في بلد يشهد حربا منذ ست سنوات.

مع بداية الحرب في اليمن، مطلع عام 2015، تأثرت مختلف نواحي الحياة في البلاد، ولم يكن الفن التشكيلي بعيدا عن هذه التداعيات التي قتلت أحلام الكثيرين، وزرعت الأوجاع في مساحات شاسعة بوطن يعاني أسوأ أزمة إنسانية في العالم، ويحتاج معظم سكانه إلى المساعدات.

والمقرمي في الأربعينات من عمره، ذاع صيته كثيرا خلال السنوات الماضية، حيث يتميز برسم صور الشخصيات المشهورة سواء محليا أو عالميا.

يتمتع المقرمي بحس فني كبير، جعله محل إعجاب وتقدير الكثير من المتابعين الذين يحرصون على تفاعلهم مع لوحاته الفنية التي ينشر بعضها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

يحكي الفنان اليمني عن بداياته في الفن التشكيلي قائلا "بدأت هواية هذا الفن منذ صغري، حتى ما قبل دخول المدرسة".

شهاب المقرمي

الفن التشكيلي في اليمن يقاوم بجهود فردية، حيث لا مؤسسات تتبناه ولا معارض فنية ولا متاحف ولا نقاد

ويضيف "كنت أهوى هذا الفن وأنا صغير السن، قبل أن ألتحق بالتعليم الأساسي... لقد كنت أحاول إجادة الرسم على الطين، وحتى على عجين أمي"، في تعبير واضح عن مدى عمق الهواية وحب الرسم منذ زمن طويل.

يشير المقرمي إلى أن ميله إلى هذا الفن منذ الصغر، جعله يحبه ويواصل العمل فيه حتى اليوم.

يقول "الدخول إلى عالم الرسم والفن التشكيلي، هو ميول واحتياج ورغبة داخلية وجدانية تلح على صاحبها في الظهور إلى العلن".

منذ بداية عمله في هذا المجال، استطاع المقرمي رسم الآلاف من اللوحات الفنية، التي هي عبارة عن لوحات بورتريه (فن رسم الأشخاص)، حيث استطاع أن يرسم بريشته عددا كبيرا من الشخصيات المهمة محليا وعربيا ودوليا.

واللافت أن لوحاته فيها تنوع واضح من حيث صفات الشخصيات التي قام برسمها، فهناك سياسيون وقادة وفنانون ورياضيون وأدباء وغيرهم من الفئات.

يحرص المقرمي على إجادة رسم اللوحات، ويقول "لا تعد كثرة الكمية ميزة، إن لم ترافقها جودة الكيف".

وللفنان لوحة بارزة أسماها "الذاكرة الشهابية"، وهي لوحة نوعية تحتوي على 300 شخصية بارزة محليا وعالميا.

وتحوي هذه الذاكرة العديد من الشخصيات المهمة، سواء من الناحية السياسية أو الأدبية أو الفنية، أو غير ذلك من النواحي الأخرى.

سبق أن عمل المقرمي -إلى جانب الفن التشكيلي- في مجال الإخراج الصحفي، ورسم الكاريكاتير، لكن توقف عمله في مجال الإخراج جراء توقف إصدار العديد من الصحف اليمنية منذ أن بدأت الحرب.

وكانت الكثير من الصحف اليمنية قد توقفت بعد نشوب الحرب، في الوقت الذي تعاني فيه حرية الصحافة من انتهاكات متكررة، جعلت البلد أحد أسوأ بلدان العالم في حرية الإعلام، وفق تقرير سابق لمنظمة "مراسلون بلا حدود".

للحرب اليمنية المشتعلة بين الحكومة الشرعية المدعومة سعوديا، والحوثيين المسنودين إيرانيا، تأثيرات كبيرة على السكان الذين بات العديد منهم على حافة المجاعة، فيما فقد الكثير من الموظفين رواتبهم منذ سنوات.

في هذا السياق يقول المقرمي "استمرار الحرب المشتعلة حتى اليوم، إضافة إلى انقطاع الرواتب، زادا المعاناة والضغوط النفسية على العديد من السكان".

ومن بين المشاكل التي قد يواجهها الفن وقت الصراع أنه قد يقع ضحية لهذا الطرف أو ذاك، وفي هذا الجانب يشير الفنان اليمني إلى أنه "في الحروب كل طرف يتسلح بالفن لنصرته، مما يضر بالفن والفنانين".

وفيما يتصل بتأثيرات الحرب عليه من الناحية المعيشية يقر بأنها "أثرت عليّ ماديا وزادت الأمور تعقيدا".

ويردف "مجتمعنا يرى الفن شيئا كماليا، وبعد الحرب صعبت الأمور أكثر وصار مستحيلا أن يطلب شخص لوحة أو بورتريه بـ20 ألف ريال (حوالي 33 دولارا)".

ومضى قائلا "بسبب ظروف وتداعيات الحرب، هناك من يفضل أن يشتري بهذا المبلغ قمحا ودقيقا وزيتا وأرزا".

ومع ذلك هناك من لا يزال يشتري لوحات فنية من المقرمي الذي يقوم بالترويج لعمله عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وأحيانا يكون الترويج ممولا لكسب الزبائن، كفاحا في ظل تداعيات الحرب.

وحول نظرته لواقع الفنون التشكيلية في اليمن، يفيد المقرمي بقوله "إذا لم تتبن المدرسة التربية الفنية كمادة أساسية تدرّس من الابتدائية فلا فائدة".

وشكا من أنه لا وجود للفن في اليمن إلا بجهود فردية، حيث لا مؤسسات تتبناه ولا معارض فنية ولا متاحف ونقاد.

وفيما يتصل بطموحه المستقبلي يقول "أطمح إلى أن أنتج أعمالا أفضل، وأن أستقر نفسيا وماديا".

وفي رسالته لليمنيين يقول المقرمي في عبارة قصيرة مؤثرة "كفاية حروبا وفسادا".

بورتريهات تتقصى وجوه اليمن

بين الراديو والسينما والأدب علاقة إبداع

الشاعر والروائي المصري علي عطا: نبع الكتابة الأدبية واحد

تنفتح تجربة المصري علي عطا الشعرية والروائية على أفق خصب من الوعي الجمالي والفني والإنساني، حيث تتماس رؤاها وأفكارها وتشكيلاتها اللغوية وخيالاتها مع الواقع الحي المعيش انطلاقا من الذات وانتهاء بالمحيط المتداعي بصراعاته وتناقضاته وصداماته. في هذا الحوار مع "العرب" يلقي عطا الضوء على التكوين الثقافي والمعرفي والجمالي الذي شكل هذه التجربة وألقى بظلاله على عوالمها.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

السارد قد يتماهى مع الشاعر (لوحة للفنان بسيم الريس)

في الشعر كما في الرواية تتفاعل روح علي عطا المبدعة مع المهمش والمسكوت عنه في ما جرى ويجري من خلل، لتنسج نصها الجمالي النابض بالحيوية والرؤى الكاشفة للأذى الذي لحق بالإنسانية جراء اضطرابات وارتباكات العالم، تجلى ذلك في الشعر عبر نصوص دواوينه "على سبيل التمويه"، "ظهرها إلى الحائط"، و"تمارين لاصطياد فريسة"، وفي روايتيه "حافة الكوثر"، "زيارة أخيرة لأم كلثوم"، وأيضا المقالات والمتابعات النقدية.

يقول عطا "لم يكن أبي؛ البائع المتجول، وهو بالمناسبة من مواليد حي باب الشعرية في القاهرة، يعرف القراءة ولا الكتابة، لكنه كان يشجعني على مواصلة التعليم، وكان يشتري لي الصحف والمجلات، وبعض الكتب. كانت أمي المولودة في قرية الدراكسة، القريبة من مدينة المنصورة، تفك الخط، وبالتالي كانت حريصة أكثر حتى من أبي، على أن أتعلم وأصبح طبيبا، بما أن الطبيب وقتها، وربما لا يزال، كان يمثل أعلى مراتب الطموح الاجتماعي الذي كان مباحا للفقراء في ذلك الوقت، أي في أواخر سنوات حكم جمال عبدالناصر وبدايات حكم السادات، بما أني مولود في عام 1963".

البداية بالقصيدة

يلفت عطا إلى أن تكوينه الثقافي ارتبط ارتباطا وثيقا في البدايات بالإذاعة وبرامجها، ومنها "لغتنا الجميلة" للشاعر الراحل فاروق شوشة، و"من مكتبة فلان" لنادية صالح، و"مع الأدباء الشبان" لهدى العجيمي والشعر بصوت حكمت الشربيني، ومسلسلاتها الإذاعية التي كانت تحظى بشعبية جارفة قبل أن يزدهر التلفزيون، وخصوصا مسلسل "ألف ليلة وليلة" الذي كان يحمله إلى عوالم تنشط الخيال وتبهج النفس.

ويتابع الشاعر "الراديو كان نافذتي على أغاني أم كلثوم وفيروز ومحمد عبدالوهاب وفايزة أحمد ونجاة الصغيرة. كما ارتبطت بالسينما، في وقت كانت فيه مدينة المنصورة حيث ولدت ونشأت تزدهي بعدد من صالات العرض التي لم يعد لها وجود الآن للأسف الشديد. كانت هناك أيضا مكتبة المدرسة في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، ومكتبة المنصورة العامة، حيث طالعت أعمالا لتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وغيرهم، بعدما بدأتُ بقصص مدهشة ليحيى الطاهر عبدالله".

ويوضح قائلا "وقتئذ بدأت كتابة الشعر. بدأت بالقصيدة العمودية، ثم قصيدة التفعيلة، واقتنيت دواوين لنزار قباني وفاروق جويدة، ولم أعرف صلاح عبدالصبور وأمل دنقل وحجازي وفدوى طوقان ونازك الملائكة، إلا بعد التحاقي بكلية الإعلام في خريف 1982".

وحول ارتباط نصه الشعري بجماليات اللغة وقدرتها على تشكيل نص مفتوح الدلالات، يشير عطا إلى أنه منذ مرحلة الدراسة الابتدائية، ظهر شغفه باللغة العربية وتفوقه فيها، وحرصه على قراءة كل ما يقع تحت يديه حتى ولو كان ورقة تلف أقراص الطعمية برغم بقع الزيت التي تصعب من قراءة ما تحتويه. وبمرور الوقت، وخصوصا بعد عمله في تحرير الأخبار والمقالات، بات الاختزال سمة لما يكتب، وكان ذلك بالطبع مناسبا لجماليات القصيدة الجديدة التي تسمى على نطاق واسع بقصيدة النثر. يقول عطا "أجد من المناسب أن أصرح هنا بأن لكتابة النثر جماليات تختلف عن جماليات كتابة الشعر. وهذه الجماليات ليست ثابتة، بمعنى أن الأفق مفتوح دائما على جماليات لم نبلغها بعد. ومن هنا يتطور الشعر وكذلك يتطور النثر، فيجد الجديد، إذا ما قورن بالقديم. وعموما فإن النقاد هم الأقدر مني على تلمس تلك الجماليات".

الشعر والسرد

يلفت عطا إلى أن قوة تجليات الواقع بهمومه وتناقضات مواقفه وأحداثه على نصوصه تأتي انطلاقا من رؤيته بأنه "لا يوجد أدب، شعرا أو نثرا، لا يقوم على التخييل بدرجة أو أخرى. كما لا يوجد أدب يمكن أن ينفصل عن واقعه الاجتماعي والثقافي والسياسي، بشكل يميزه طبعا عن الكتابة غير الأدبية، عبر الخيال الذي سبق أن أوضحت أنه شرط ضروري لأي نص إبداعي".

ويقول "عن نفسي، قبل إن الشخصي عندي هو الغالب، في الشعر أولا ثم في الرواية. وأذكر في هذا الصدد مقالا كتبه سيد محمود عن أحد دواويني وصفني في عنوانه بأنني شاعر الحيز الشخصي. ولا تَحفُظ لي على ذلك، سوى أن الشخصي لا بد أن له سياقا عاما يسهم في بلورته، وأزعم أني حققت من دون تعمد تلك المعادلة، إذا جاز التعبير، ومن ثم أنتجت مخيالا أو إيقاعا أو فكرة متوهجة على حد ما ورد في سؤالك".

ويرى عطا أن السرد عنده، كما الشعر، قائم على التكثيف والإيجاز، ولغة الشعر يصعب التخلص منها، حتى أننا نجدها في نصوص لكتاب لم يعرفوا أبدا على أنهم شعراء، منهم مثلا إبراهيم أصلان ويحيى الطاهر عبدالله وعبدالحكيم قاسم وميرال الطحاوي، وقبلهم ومعهم نجيب محفوظ، خصوصا في "أصداء السيرة الذاتية" و"أحلام فترة النقاهة". ويقصد هنا اللغة التي تنتج نصا هو ليس بالضرورة قصيدة، ومع ذلك تجد فيه روح الشعر التي تأخذ بتلابيب الوجدان.

ويؤكد أنه "ليس شرطا أن مَن تحقّق بالشعر سيتحقق أيضا بالرواية. لكن غالبا ما يحدث ذلك، والنماذج في هذا الصدد كثيرة، ودائما ما ترتبط بأصحاب المواهب الحقيقية. لكن قلما نجد من بدأ كاتب رواية، ثم كتب شعرا يعوّل عليه، وينشره. عن نفسي أذكر أن الدكتور جابر عصفور حين كتب مقالا عن روايتي الأولى، اندهشت وقلت لنفسي: لماذا لم يكتب قبل ذلك عن أي من دواويني. صارحته بذلك، مع أنني لست واثقا من أنه قرأ أيا من هذه الدواوين، فقال لي: ربما أنت في الأصل روائي أكثر منك شاعرا، ونصحني بمواصلة الكتابة الروائية".

الاتكاء على السيرة الذاتية أو بمعنى أدق التكوين الإنساني طفولة وشبابا، شكل مع الواقع المعاش وما يضج به من أحداث، مدخلا مهما لعطا للانتقال إلى عالم الرواية، يقول "اتكأت على سيرتي الذاتية، في روايتيّ 'حافة الكوثر' و'زيارة أخيرة لأم كلثوم'، لكن الواقع المعاش حاضر في العملين، خصوصا في ما يتعلق منه بوطأة المرض النفسي وارتباطها بالمناخ العام وإحباطاته السياسية والاجتماعية، التي احتك معها بعمق، سواء لكوني مثقفا، أو حتى لكوني أعمل بالصحافة عموما وبالصحافة الثقافية على وجه خاص".

ويظن الشاعر بأنه نجح في الاشتباك مع ما يسمى بالتشكيلات الصالحة لخلق عالم روائي، وتجلى ذلك في الاستقبال النقدي لروايتيْه، على مدى السنوات الأربع الأخيرة، حيث ناقش من خلالهما عدة قضايا اجتماعية وسياسية مصرية، وفي مقدمتها كوارث الإسلام السياسي وتبني منظومة الحكم في مصر لخطابه فعليا، أو التواطؤ معه برغم ما تظهره من خصومة تجاهه وصلت إلى حد المواجهة المسلحة، التي راح ضحيتها الكثير من الأبرياء.

علي عطا

الأدب، شعرا كان أو نثرا، يقوم على التخييل بدرجة أو بأخرى، لكن لا يوجد أدب يمكن أن ينفصل عن واقعه

ويرى عطا أن انعكاس التجربة الشعرية على السرد الروائي، وانعكاس العمل الصحافي على الشعري والسردي، أمر يصعب الفكاك منه، ويوضح "ربما تتفق معي في أن السرد بات سمة مميزة لكثير من الأعمال الشعرية الحديثة، ومن ثم فإن نبع الكتابة الأدبية واحد في تصوري، ولكن تخرج منه أشكال عدة للإبداع منها القصيدة والقصة القصيرة والرواية. وأزعم أن تجربتي في العمل الصحافي على مدى أكثر من ثلاثين عاما، أفادتني في الكتابة الأدبية حتى من دون أن أعي ذلك، أو أقصده. وهذا أمر ينطبق على الكثير من الأدباء الذين يعملون بالصحافة هنا وفي مختلف أنحاء العالم. التأثير متبادل بلا شك، فكثيرا ما نجد مقالات وقصصا صحافية مكتوبة بشكل يقربها من الأدب، كما أن هناك أعمالا أدبية لا تخلو من مؤثرات راجعة إلى اشتغال أصحابها بالصحافة".